تائيّة الإلبيري

شَرْحُ فَضِيلَةِ الشّيخِ

د. مُحَمَّد هِشَام طَاهِرِيْ

تنبيه: الشيخ لم يراجع التفريغ

لأي تنبيه التواصل

(0096550110130)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [سورة النساء، من الآية:١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب، من الآية:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتُها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل ضلالة في النار، أرحب بطلاب العلم وطالبات العلم أجمل ترحيب، وأقول لهم كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَرْحَبًا بِطَالِبِ الْعِلْمِ**».

ويا بشرى من يطلب العلم، ويموت على طلب العلم؛ فإن طلب العلم أشرف الأعمال، فرضه أشرف الفروض، ونفله أشرف النوافل، ألا ترون أن العلم بـ (لا إله إلا الله) مقدمٌ على الصلاة والصوم والزكاة والحج؟! فكذلك فرضه مقدمٌ على فرض العبادات، ونفل العلم مقدمٌ على نفل العبادات، ولا خلاف بين العلماء في هذه المسألة.

وهذا العلم هو منار الإسلام، وبه بقاء الدين وحفظه وصونه، ولا يحمل هذا العلم من كل خلفٍ إلا عدوله كما النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ**»، ينفي عنه تحريف الغالين، تحريف الجاهلين، وتأويل الغالين.

وهذا العلم -أيها الإخوة- لا بُدَّ أن يكون مرتبًا حتى يناله الإنسان، ترتيبًا على وفق خطواتٍ ثابتة حتى يصل الإنسان إلى سنامه، ويُحيط بمرامه، يعرف أصوله وفروعه، وهذا لا يتأتَّى إلا بالتزامٍ، وصبرٍ، وحفظٍ، وفهمٍ، ومدارسةٍ، ومذاكرةٍ، ومثابرة.

لو كان العلم يعطاه كل أحد لما أراد أحد أن يبقى في الجهالة، مهما نقول في العلم وفضله فإنا لا نستطيع أن نُحيط به، وإنما نُريد أن نشحذ هممنا ونشجع أنفسنا على الثبات على طلب العلم.

ونبدأ اليوم -إن شاء الله تعالى- مع تائية الإلبيري أو منظومة الإلبيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هذه المنظومة التي فيها بيان آداب طالب العلم، وقد كتب العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ قديمًا وحديثًا في آداب طالب العلم؛ سواءٌ من حيث أدب طالب العلم مع العلم، أو أدب طالب العلم مع كتابه، أو أدب طالب العلم مع درسه، أو أدب طالب العلم مع شيخه، أو أدب طالب العلم مع زملائه، فهذا كله مزبور ومكتوب.

ومن أوسع ما كُتب في هذا الباب [تذكرة السامع والمتكلم] لابن جماعة، ومن أقدم ما كُتب في هذا الباب من حيث الإفراد ما كتبه الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحمد بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي صاحب كتاب [تاريخ بغداد]، والمؤلفات الماتعة، [الجامع في آداب الراوي والسامع]، وهو من علماء المشرق.

وأما من علماء المغرب فقد كتب العلامة أبو عمر بن عبد البر حافظ المغرب كتابه [بيان فضل العلم] وهو من أنفس ما كُتب في هذا الكتاب مسندًا، ولا ننسى ما كتبه البخاري في كتاب [العلم من صحيحه]، فإذا كان طالب العلم يريد أن يكون على شيء من العلم فعليه أن يتأدب بآداب العلم، وأول هذه الآداب إخلاصه مع الله عَزَّوَجَلَّ، وبقدر إخلاصك مع الله يفتح الله عليك ما لا يفتحه على غيرك.

وكلمة أقولها دائمًا وأرددها: **إذا رأى الله منك الجِد أراك الجَد، إذا رأى منك الصدق أوصلك إلى منازل الصادقين، إذا رأى الله منك الإخلاص رزقك الخلاص.**

ثانيها: عليك بحفظ أصول العلم، فمن فاته الأصول حُرم الوصول، ولا يستقيم العلم لمن لا يحفظ الأصول، فاحفظ الأصول تنل الوصول.

والله جَلَّوَعَلَا قال في مُحكم تنزيله كلامًا عامًا متقنًا يشمل كل الأبواب، قال: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٨٩]، والعلم له باب وبابه الحفظ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [سورة العنكبوت، من الآية:٤٩]، ينبغي لطالب العلم أن ينظر إلى الأصلين، ما موقع إعرابهما في قلبه حفظًا، وقراءةً، وفهمًا القرآن والسنة؟!

إذ لا يليق بطالب العلم أن يُخطئ أو يلحن في قراءة القرآن، فعليه أن يبدأ بقراءة القرآن، وقد كنا ونحن صغار لا يُعلموننا شيئًا حتى نقرأ القرآن كله على شيخٍ نضبط قراءته فلا نلحن، وقد ذكر جمعٌ من مشايخنا أن الشيخ ابن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما كان يسمح لأحدٍ أن يحضر درسه إلا إذا حفظ القرآن وقرأه، واليوم تسمع العجب العُجاب حتى من المنتسبين إلى العلم في قراءتهم للقرآن أو في قراءتهم للأحاديث.

فينبغي لك أن تُثني الركب حتى تختم القرآن قراءةً مجودة مرتلة، ثم تقرأ شيئًا من الحديث حتى يذهب عنك اللحن، ويبعد عنك الاستيحاش من غريب الحديث، فلا تتلكأ في قراءة الحديث عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم عليك بالفهم والتدبر كما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن قال: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [سورة النساء، من الآية:٨٣]؛ وهذا هو الفهم.

فالعلم مبناه على الحفظ والفهم، لا يُغني أحدهما عن الآخر، وقد أدركنا من مشايخنا من كان يحفظ آلاف الآلاف من متون العلم، ولا أقول المئات، ولو سألناه عن سطرٍ خارجٍ عن حفظه ما استطاع أن يجيب؛ لأنه لم يتمرس، ولم يُمارس الدربة في الاستنباط، وهذا لا يتأتى إلا بالتأصيل في الاستنباط من حيث العلم بأصول الحديث، من حيث العلم بأصول التفسير، من حيث العلم بأصول الفقه، ونحو ذلك.

وهذه الرسالة التي بين أيدينا منظومة الإلبيري منظومة ذكرها الناظم على بحر الوافر؛ ليشحذ همم ابنه على ما ذكره بعضهم أو زميلٌ له كما يقوله آخرون، أو أن ذلك مُحاضرة علمية أنشأها في ذهنه ومساجلة شعرية، ولكن الأول هو الأقرب.

وأنا أنصح إخواني وزملائي وأبنائي طلاب العلم وطالبات العلم: أنهم إذا سمعوا شيئًا من التعليق على هذه المنظومة أن يسمعوا تعليقاتٍ أخرى حتى يرسخ معنى هذا النظم في الذهن، ويُمكن تفعيله بعد ذلك عمليًا، فنسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى العون، ونبدأ على بركة الله.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على سيدنا محمدٍ؛ وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم اغفر لنا ولشيخنا ولمشايخه وللمسلمين والمسلمات يا رب العالمين، قال الشيخ/ أبو إسحاق الإلبيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في تائيته:

١- تَفُتُّ فُؤَادَكَ الْأَيَّامُ فَتًّا ... وَتَنْحِتُ جِسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْتَا
٢- وَتَدْعُوكَ الْمَنُونُ دُعَاءَ صِدْقٍ ... أَلَا يَا صَاحِ: أَنْتَ أُرِيدُ أَنْتَا
٣- أَرَاكَ تُحِبُّ عِرْسًا ذَاتَ خِدْرٍ ... أَبَتْ طَلَاقَهَا الْأَكْيَاسُ بَتَّا
٤- تَنَامُ الدَّهْرَ وَيْحَكَ فِي غَطِيطٍ ... بِهَا حَتَّى إِذَا مِتَّ انْتَبَهْتَا
٥- فَكَمْ ذَا أَنْتَ مَخْدُوعٌ وَحَتَّى ... مَتَى لَا تَرْعَوِي عَنْهَا وَحَتَّى؟
٦- «أَبَا بَكْرٍ» دَعَوْتُكَ لَوْ أَجَبْتَا ... إِلَى مَا فِيهِ حَظُّكَ لَوْ عَقَلْتَا
٧- إِلَى عِلْمٍ تَكُونُ بِهِ إِمَامًا ... مُطَاعًا إِنْ نَهَيْتَ وَإِنْ أَمَرْتَا
٨- وَيَجْلُو مَا بِعَيْنِكَ مِنْ غَشَاهَا ... وَيَهْدِيكَ الطَّرِيقَ إِذَا ضَلَلْتَا
٩- وَتَحْمِلُ مِنْهُ فِي نَادِيكَ تَاجًا ... وَيَكْسُوكَ الْجَمَالَ إِذَا عَرِيتَا
١٠- يَنَالُكَ نَفْعُهُ مَا دُمْتَ حَيًّا ... وَيَبْقَى ذِكْرُهُ لَكَ إِنْ ذَهَبْتَا
١١- هُوَ الْعَضْبُ الْمُهَنَّدُ لَيْسَ يَنْبُو ... تُصِيبُ بِهِ مَقَاتِلَ مَنْ ضَرَبْتَا
١٢- وَكَنْزٌ لَا تَخَافُ عَلَيْهِ لِصًّا ... خَفِيفَ الْحَمْلِ يُوجَدُ حَيْثُ كُنْتَا
١٣- يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ مِنْهُ ... وَيَنْقُصُ إِنْ بِهِ كَفًّا شَدَدْتَا

هذه المقدمة التي ذكرها الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو مقرئٌ مشهور وإمام في القراءة والفقه المالكي مبرور، ابتدأ نظمه بقوله: (تَفُتُّ فُؤَادَكَ الْأَيَّامُ فَتًّا)؛ وطبعًا هل البسملة موجودة في النظم أم أنها استلت من يعني منظوماته؟ الله أعلم، أيًّا كان فإن الكلام في البسملة معروف، وإنما الخلاف: هل يجوز بدأ المنظومات بالبسملة أو لا؟ والصحيح من أقوال أهل العلم: أن بدء المنظومات بالبسملة أمرٌ غير منكر ما دام النظم في خدمة الشرع.

أقول: الصواب أن بدء المنظومات بالبسملة أمرٌ غير منكر، ما دام النظم في خدمة الشرع، ولهذا نجد العلماء الراسخين إذا ما نظموا يذكرون البسملة، ولا بأس بذلك كاملةً (بسم الله الرحمن الرحيم)، باعتبار أن هذه المنظومة رسالة، وقد ذكرتُ مرارًا وأعيد تكرارًا: أن البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) سُنَّة عند قراءة القرآن؛ وهذا الموضع الأول، وعند كتابة الرسائل؛ وهذا الموضع الثاني فحسب.

والدليل على الأول: القرآن: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة، من الآية: ١-٢].

والدليل على الثاني: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ...﴾ [سورة النمل، من الآية:٣٠-٣١]، الآية..

وقال ابن عباس، قال أبو سفيان: قرئ على هرقل خطاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفيه: «**بسم الله الرحمن الرحيم، من محمدٍ رسول الله**».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**تَفُتُّ**)؛ الفت: الشق، وأصل الفتِّ كسر الخبز المشربة بماء اللحم وهو الثريد، والجمع: الفتوت. (**تَفُتُّ فُؤَادَكَ**)؛ كيف الأيام تفت الفؤاد؟ لأن القلب يضعف مع مرور الأيام والزمان على الإنسان ما لم يتقوى بعبادة الله، فإن القلب يقوى بالطاعة والعبادة وبالعلم وإلا فيضعف، وأما ضعف القلب مع مرور الأيام بدنيًا وحسيًّا؛ فهذا أمرٌ مشاهد لا يمكن نكرانه.

قوله: (**تَفُتُّ فُؤَادَكَ**)؛ ولم يقل: قلبك؛ لأن القلب اسمٌ عام، والفؤاد اسمٌ خاص، وقد فرَّق الله بين القلب والفؤاد في القرآن، قال: ﴿وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٌ﴾ [سورة إبراهيم، من الآية:٤٣]؛ فلم يسم الله القلب فؤادًا إلا لما فرغ، فالفؤاد القلب الفارغ، والقلب أعم من ذلك، القلب الفارغ الذي ليس فيه إلا همٌّ واحد، أو شيءٌ واحد، قال: ﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي﴾ [سورة القصص، من الآية:١٠]، قال المفسرون: أصبح فؤاد أم موسى فارغًا إلا من ذكر موسى؛ فهي منشغلة بابنها.

(**تَفُتُّ فُؤَادَكَ الْأَيَّامُ**)؛ الأيام جمع يوم، لغةً: من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وجمعه مع الليل الزمان، الأيام مع الليل هو الزمان، وهو ظرف المكان، الليل والزمان ظرفان مكانيان، و(**الْأَيَّامُ**)؛ نسبة الفت إليه من باب نسبة النتيجة إلى السبب لا من باب الإنتاج، يعني نحن نقول: (أكلنا فشبعنا)، فالأكل سببٌ للشبع، هذا هو عقيدة أهل السنة والجماعة، فنسبة الأفعال إلى أسبابها أمرٌ غير منكر، وإنما المنكر أن يُعتقد أن هذه الأسباب مستقلة في نتائجها، وهذا الذي لا يقبله عاقل ولا يقبله الشرع، فإنا نرى إنسانًا يأكل ولمرض فيه لا يشبع، إذًا ترتيب النتائج على الأسباب أمرٌ لا يُنكر وإنما المنكر: اعتقاد أن الأسباب مستقلة بالنتائج، فإذا ما قرأت في الشعر نسبة الفعل إلى الأسباب لا يضر، (**تَفُتُّ فُؤَادَكَ الْأَيَّامُ فَتًّا**)؛ وفتا مصدر، والمصدر مؤكد لفعله، أي بمعنى تفتيتًا، والإنسان يرى من نفسه أنه كلما كبر، كلما وجد الضعف في قلبه، وأهل الدنيا كلما مر عليهم يوم كلما زاد همهم وفؤادهم في دنياهم أكثر.

ثم قال: (**وَتَنْحِتُ جِسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْتًا**)؛ أصل النحت التقطيع، ومنه النِّحاتة، وهي قطع الصخور والتراب والخشب لصناعة شيء ما، وقد جاء في القرآن: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾ [سورة الشعراء، من الآية:١٤٩]؛ إذًا النحت معروف.

(**وَتَنْحِتُ جِسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْتًا**)؛ كيف الساعات تنحت في جسم الإنسان؟ بظهور الكِبَر، بذول الجسم، ظهور التجاعيد، ظهور الشيب؛ هذه كلها من باب: (**وَتَنْحِتُ جِسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْتًا**)؛ هذا إذا قلنا: إن المعنى المراد هو المعنى الحسي.

وإن قلنا: إن هذا من باب الاستعارة، وأن المراد به المعنى غير الحسي، وهو أن الساعات بمرورها تقطع شيئًا من أعمارنا، فيكون المقصود بالنحت المعنى غير الحسي، وهو قطع الأعمار المغيبة عنا، فما من ساعةٍ إلا وهي تنقطع من أعمارنا بذهابها.

(**وَتَنْحِتُ جِسْمَكَ**)؛ والجِسم بالكسر؛ الجسد، وهو ذات الشيء وعينه، وعند علماء الهندسة يقولون: الجسم ما له طولٌ وعرض وعمق، هذا خاص بعلماء الهندسة، وإلا فنحن في الشريعة قد نسمي الروح جسمًا باعتبار أنه يؤخذ ويقبض، ويُذهب بها وتذهب وتجئ، وهم لا يسمونه جسمًا، هذه اصطلاحات عندهم.

وأما عند علماء العقيدة -لاسيما علماء الكلام- فالجسم عندهم ما يقابل الروح، وهذا التعريف فيه نظر.

(**وَتَنْحِتُ جِسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْتًا**)؛ الساعات جمع ساعة، وهو في اللغة جزء من أجزاء الوقت، وفي عُرفنا ستون دقيقة، وفي عُرف الشارع الساعة ساعةٌ وربع تقريبًا، وإذا أردت أن تعرف تقسيم الشارع للساعات فاسمع لما رواه البخاري في صحيحه: «**من جاء في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة**»، وهذا من طلوع الفجر، أو من طلوع الشمس على بعض أقوال أهل العلم، ومن جاء في الساعة الثانية، ومن جاء في الساعة الثالثة، ومن جاء في الساعة الرابعة، ومن جاء في الساعة الخامسة؛ فكأنما قرب بيضة، فجعل الساعات قبل صلاة الجمعة خمس ساعات، دل على أن الشارع له مفهومٌ للساعة، وأيضًا الساعة في القرآن قد جاء بمعنى القيامة، وهنا المراد به الأول وليس الثاني.

و(**نَحْتًا**)؛ مصدر مؤكد لتنحت، ودائمًا إذا رأيت الفعل مؤكدًا بمصدره فاستفد منه فائدتين:

الأول: أن المعنى المراد من الفعل الحقيقة وليس معنىً آخر، حتى عند القائلين بالمجاز، ونحن لا نقول به.

والثاني: أن الفعل إذا وُكد بمصدره دل على تأكيد وقوعه على وجه المبالغة والكمال، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [سورة النساء، من الآية:١٦٤].

في البيت الثاني قال: (**وَتَدْعُوكَ الْمَنُونُ دُعَاءَ صِدْقٍ**)؛ تدعوك أي تناديك، وأصل الدعاء النداء، ومنه: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [سورة غافر، من الآية:٦٠]؛ أي: نادوني، ولهذا يقول المسلم: يا رب، يا رب، كما جاء في القرآن في أدعية الأنبياء: ربنا، ربنا.

(**وَتَدْعُوكَ الْمَنُونُ**)؛ المنون هنا بمعنى الموت، ويُطلق على الدهر، (**وَتَدْعُوكَ الْمَنُونُ**)؛ أي: الموت، والمنون يُراد به الدهر، وليس مرادًا هنا.

(**دُعَاءَ صِدْقٍ**)، الموت يدعو الإنسان دعاء صدق ما فيه مثل ما تقول العامة، ما فيه غشمرة، ما فيه ضحك؛ لأن الله قال: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [سورة النحل، من الآية:٦١]، إنسان يمشي معنا وفجأة يموت، إنسان يتبختر وفي الليل تُقبض روحه ويُصبح جسدًا خاوية.

قال: (**أَلَا يَا صَاحِ: أَنْتَ أُرِيدُ أَنْتَا**)؛ ألا حرف تنبيه بمعنى: انتبه، يا حرف نداء، انتبه أناديك، وهذا من حُسن أسلوب المصنف في مخاطبة طلاب العلم، (**يَا صَاحِ**)؛ أصلها صاحي بالياء، وحُذف الياء لأجل البيت. (**يَا صَاحِ**)؛ والكسر دليل على الحذف، وليست الكسرة حركةً إعرابية، انتبه! (**يَا صَاحِ**)؛ الكسرة ليست حركة إعرابية، الكسرة دليلٌ على حذف الياء، (**أَلَا يَا صَاحِ**)؛ يعني المتيقظ الذي ليس بنائم، أو الخارج من سكرته، والمنتبه من غفلته، الصاحي المتيقظ الذي ليس بنائم، أو الخارج من سكرته، والمنتبه من غفلته، كأنه يقول: يا صاحي أيها المتيقظ.

(**أَنْتَ أُرِيدُ أَنْتَا**)؛ أنا أخاطبك أنت، يخاطبكم أنتم اللي جيتم الدرس وتنبهتم ولم تصيروا مع الغافلين، فهو يخاطب المنتبهين، يخاطب المتيقظين لا الغافلين، (**أَنْتَ أُرِيدُ أَنْتَا**).

وأيضًا القول: (**أَنْتَا**)؛ الألف هنا ألف الإطلاق، أنتَا ولا هي أصلها أنتَ، وألف الإطلاق قد جاء استخدامه في القرآن، ﴿قَوَارِيرَا۠﴾ [سورة الإنسان، من الآية:١٥]، ﴿رَسُولَا﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٢٩]، ونحو ذلك.

قال: (**أَرَاكَ تُحِبُّ عِرْسًا ذَاتَ خِدْرٍ**)؛ (**أَرَاكَ**)؛ رؤية علمية وليست رؤية بصرية بالنسبة لنا، وهي رؤية بصرية بالنسبة لمن يخاطبه، حقيقية، (**أَرَاكَ تُحِبُّ عِرْسًا ذَاتَ خِدْرٍ**)؛ العرس الزفاف والتزويج،

والجمع أعراس، والمراد هنا: الزوج والصِّنف، حتى يُقترن بها، يقال: هو عِرسُها، وهي عِرسُه، وهما عُرسان، هذا في اللغة، في اللغة يقال: هو عِرسُها؛ أي: صِنفها، وهي عِرسه؛ أي صنفه، وهما عِرسان؛ يعني: متقاربان متزاوجان متصنفان، ولذلك يصح في اللغة أن تقول: هذا عروسٌ وهذه عروسٌ، في اللغة هذا أمر جائز، لكن في العُرف عندنا في الكويت يقولون: هذا عريس، وهذا عروس، وهذه عروس، ولا يُساوون بينهما.

والمقصود: (**أَرَاكَ تُحِبُّ عِرْسًا ذَاتَ خِدْرٍ**)؛ منشغل فيها تترك العلم جالس معها، تنشغل عن مجالس العلم بالأنس بها، ولهذا قال ابن القيم وغيره من أهل العلم: "ما ضيع العلم مثل الجلوس بين ذوات الخدور"، وهذا حق وحقيقة، وقد رأينا طلاب علم انشغلوا بأزواجهم عن العلم، وآخرون انشغلوا بالدنيا عن العلم -نسأل الله السلامة والعافية-.

(**أَرَاكَ تُحِبُّ عِرْسًا ذَاتَ خِدْرٍ**)؛ وهذا وصف للعروسة، (**ذَاتَ**)؛ أي موصوفة بأنها صاحبة خدرٍ، وصاحبة الخِدر أي: الملازمة للخدر. والـ (**خِدْرٍ**)؛ المكان الذي يسترها عن الرجال؛ **لأن المرأة كلما كانت قارة الدار كلما كانت قارة العين، المرأة كلما كانت قريرة الدار كلما كانت قريرة العين في نفسها وقرة عينٍ لزوجها، وكلما كانت خراجة ولاجة، كلما أصبحت غير مرغوبٍ فيها، غير مقر العين بها**، وهنا يقول: (**أَرَاكَ تُحِبُّ عِرْسًا ذَاتَ خِدْرٍ**)؛ لأنها مستورة عن الرجال فأنت منشغلٌ بها، وأخدر بالمكان أقام بها، أخدر فلان بالمكان أقام به، وأخدره الليل إذا جاءه الظلام وغطاه فأصبح لا يُرى، يقول: (**أَرَاكَ تُحِبُّ عِرْسًا ذَاتَ خِدْرٍ**)؛ وهذا الأمر هو من صوارف طلب العلم، الانشغال بذوات الخدور من صوارف العلم -وهذا رقم واحد حطوا عليه- من صوارف العلم الانشغال بالنساء.

وما أكثر الناس اليوم ينشغلون بالتويترات والواتسآبات والمحادثات المحرمة مع فلانة وفلانة، ويزعم أنه بقصد الدعوة، ما لك ولهن؟ فاتق الله عَزَّوَجَلَّ لا تخطوا خطوات الشيطان.

الصارف الثاني: من صوارف العلم ذكره المصنف تبعًا وهو النوم، فإنه من صوارف العلم، ومن الصوارف عن العلم.

الصارف الثالث: الغرور؛ وهو ذكره المصنف بقوله: (**فَكَمْ ذَا أَنْتَ مَخْدُوعٌ وَحَتَّى**)، نسأل الله السلامة والعافية. وسيأتي صوارف أخرى، هذه الثلاث مذكورة في المقدمة.

قال: (أَرَاكَ تُحِبُّ عِرْسًا ذَاتَ خِدْرٍ)؛ تنشغل بها وأصبحت ذا همةٍ دنية، لا تنظر إلا بنات الطين، وأصبحت في غفلةٍ عن علمٍ ويقين.

(أَبَتَّ طَلَاقَهَا الْأَكْيَاسُ بَتَّا)، (أَبَتَّ)؛ فعلٌ ماضٍ من قطع، (أَبَتَّ)؛ فعل ماض متعد بالهمز، تقول: بتَّ أبتَّ، بتَّ بمعنى قطع، وأبتَّ أقطع، أبتَّ هنا المقصود بها البينونة؛ لذلك سمي الطلاق البائن طلاقٌ أيش؟ طلاق المبتوت، أو الطلاق البت، أي الذي قُطع لا يمكن وصله، وهنا المصنف يقول: (أَبَتَّ طَلَاقَهَا الْأَكْيَاسُ بَتَّا)؛ يعني شنو ما يتزوجون؟ لا، ليس هذا مقصوده، مقصوده أنهم قطعوا العلائق مع النساء إلا بقدر الحاجة، هذا المقصود، لا ينشغلون عن الأمور العالية بالأمور الدنية، لا ينشغلون بسفاسف الأمور عن عوالي الأمور، (أَبَتَّ)؛ إذًا بمعنى قطع وأمضاه، والمراد هنا قطع علاقة الزوجية والوصال الحميمة الذي يؤدي إلى الانشغال عن العلم.

ولذلك أنا أعرف من الناس من كان طالب علم فتزوج من امرأة لا صلة لها بالعلم؛ فانقطع عن العلم، وأعرف العكس أُناس لا علاقة لهم بالعلم، فتزوجوا من طالبات العلم فأصبحوا من طلاب العلم، ولهذا ينبغي علينا أن نذكر حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة**»؛ لأنها تعين على العلم.

(أَبَتَّ طَلَاقَهَا الْأَكْيَاسُ)؛ الطلاق معروف، وهو في الشرع رفع قيد النكاح المُنعقد بين الزوجين بألفاظٍ مخصوصة، ما معنى الطلاق؟ رفع قيد النكاح المُنعقد بين الزوجين بألفاظٍ مخصوصة.

وأصل الطلق؛ الخِلو، ورجلٌ طلقٌ؛ أي: خالٍ، وامرأة طلقٌ أي: خالية، ومنه طلق الهواء؛ أي: أنه خالٍ ليس فيه غبار، ولا فيه حرٌّ، ولا فيه قر.

قال: (أَبَتَّ طَلَاقَهَا الْأَكْيَاسُ بَتَّا)؛ الأكياس جمع كيْس، والكيْس قد جاء في الحديث: «**الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت**»، ما معنى الكيِّس؛ الكيِّس الفطن، إذًا الكيْس الفطانة، تقول: فلانٌ كيْسٌ أي فطنٌ، ويصح أن تقول: كيِّسٌ باعتبار اسم الفاعل أي: فاطن، ويصح أن تقول: فطن، والأكياس الفطناء، الأذكياء الذين تنبهوا.

(أَبَتَّ طَلَاقَهَا الْأَكْيَاسُ بَتَّا)؛ والعقل يوصف بالظرافة وبالكياسة، تقول العرب: وُلد له ولدٌ كيْسٌ، ومعناه عندهم؛ أي: ولدٌ من ظريف عاقل، فمعنى الكيِّس عندهم الظريف العاقل.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (تَنَامُ الدَّهْرَ وَيْحَكَ فِي غَطِيطٍ)؛ مع كونك تحب عرسًا ذات خدر تنشغل بها بعد ذلك تنام عن العلم وعن العبادة، (تَنَامُ الدَّهْرَ)؛ الدهر اسم يُطلق على الحياة الدنيا، وقد يُطلق على مدةٍ معينة من الزمن، كما جاء في القرآن: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ [سورة الإنسان، من الآية:١]، ﴿حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾؛ أي: زمانٌ من الدهر من الدنيا، وجاء اسم الدهر بإطلاق في خبر الله عن الدهريين قالوا: ﴿وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ﴾ [سورة الجاثية، من الآية:٢٤]؛ أي: إلا الزمان، (تَنَامُ الدَّهْرَ)؛ طيب قد يقول قائل: أنا ما أنام الدهر، لكن إذا كان غالب حياتك النوم، فأنت نائم الدهر؛ لأن العبرة بالغالب، سألنا بعض مشايخنا: كم ينام طالب العلم؟ فقال: إذا أكثر ست ساعات -فرحمنا الله وإياكم- كم ننام كثيرًا!، وكان بعض مشايخنا يقول: الذي ينام بعد الفجر فكبِّر عليه أربعًا، ولا تقل إنه طالب علم، خصوصًا إذا ما علمنا أن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا كانت تقول: **"بورك لهذه الأمة في بكورها"**، وروي مرفوعًا.

(تَنَامُ الدَّهْرَ وَيْحَكَ فِي غَطِيطٍ)؛ ويح كلمة ترحم، وقد يُطلق ويراد به الترحم، ويُطلق ويراد به التوجع، وتأتي كلمة: الويح بمعنى الويل، وهنا بمعنى: الدعاء والهلاك، إذًا ويح للترحم والتوجع، وويل للهلاك، وقد يأتي كلمة ويح بمعنى الويل، (تَنَامُ الدَّهْرَ وَيْحَكَ)؛ يعني يترحم عليك ويتوجع على حالك، ماذا تفعل؟ ويصح في ويح عدة إعراباتٍ من حيث اللغة، يجوز أن تقول: ويحٌ له، بالرفع على أنه مبتدأ، ويجوز أن تقول: ويحًا له؛ باعتبار أنه منصوب بفعل مضمر، ويجوز أن تقول: ويحه؛ بالضمير، إذًا عندنا في ويح إما بالرفع، ويحٌ له، ويجوز أن تقول: ويحًا له، ويجوز أن تصله بالضمير ولا يستقيم حينها إلا النصب: ويحه، ويحك، ويحهما.. إلى آخره.

قال: (تَنَامُ الدَّهْرَ وَيْحَكَ فِي غَطِيطٍ)؛ الغطيط معروف وهو الصوت الذي يخرج من الخياشيم، نسميه إحنا في الكويت: الشخير، (تَنَامُ الدَّهْرَ وَيْحَكَ فِي غَطِيطٍ)؛ وسبب الغطيط إن لم يكن مرضًا فيرجع إلى أمرين، إذا لم يكن الغطيط بسبب مرض فإنه يرجع إلى أمرين:

- إما بسبب كثرة الأكل حتى يصل الأكل فينسد الحلق؛ فلا يستطيع الإنسان أن يتنفس فحينئذٍ يزيد في الشخير أو في الغطيط.
- السبب الثاني: النوم العميق الذي ليس معه هم ولا غم.

قال: (تَنَامُ الدَّهْرَ وَيْحَكَ فِي غَطِيطٍ... بِهَا حَتَّى إِذَا مِتَّ انْتَبَهْتَا)؛ في غطيطٍ بها، يعني يقول: إلى متى وأنت في هذه الحالة من الغفلة وفجأة تموت، يأتيك ملك الموت وتنتبه، ولات حين مندم، ولا ينفع الندم.

(حَتَّى إِذَا مِتَّ انْتَبَهْتَا)؛ حتى تأتي جارة نحو: ﴿حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [سورة القدر، من الآية:٥]؛ لأنها الغاية، فإذا كانت حتى بمعنى الغاية فهي جارة قولًا واحدًا، إذا كان (حتى) بمعنى انتهاء الغاية فهي جارة، وإلا فإنها لا تكون جارة تكون عاطفة، فأنت تقول: (أكلت السمكة ورأسها)، وتقول: (أكلت السمكة حتى رأسها)، حتى هنا بمعنى (و) لأنها عاطفة، لكن تقول: (ذهبت من الكويت حتى المدينة)؛ أي إلى المدينة، وهنا: (حَتَّى إِذَا مِتَّ انْتَبَهْتَا)؛ جملة (إِذَا مِتَّ) مجرور (حَتَّى)، (إِذَا مِتَّ انْتَبَهْتَا)؛ (ا ن ت ب هـ) فعل ماضي خماسي، انتبه فعل ماضي خماسي، والتاء تاء المخاطب، استيقظ من غفلته.

(فَكَمْ ذَا أَنْتَ مَخْدُوعٌ وَحَتَّى)؛ من كان هذا حاله شهوة بطن، شهوة فرج، شهوة نوم، شهوة نفس، شهوة دنيا، فأي إنسان أخدع منك؟! لا أحد، العاقل من يُلاحظ كل ساعةٍ من عمره، والأعقل من يلحظ كل نفسٍ من أنفاسه، ولهذا قال بعضهم: لا يكون الرجل وليًا حتى يلحظ خطوه وخطره، لا يكون الرجل وليًا حتى يلحظ خطوه خطواته وين رايحة؟ وخطره خطراته وأفكاره، وين ماشية؟

(فَكَمْ ذَا أَنْتَ مَخْدُوعٌ)؛ كم كثير، طبعًا كم تأتي استفهامية، فإذا جاءت استفهامية فأنت تقول: كم رجلًا في الدهر، فما بعده منصوب، فما بعده أيش يكون؟ إذا كانت أيش استفهامية؟ لا تنسوا هذه قاعدة سهلة تحفظ، كم تأتي استفهامية وما بعده منصوب، (كم طالبًا أخذوا الكتب)، إذًا إذا كان ما بعده منصوب فكم استفهامية، نستفهم، نطلب العدد، فيكون بمعنى العدد، كم عددهم؟

أما إذا كان للتكثير فما بعده مجرور قولًا واحدًا، كم رجلٍ في الدار؟ أي كثيرون في الدار، كم طالبٍ قد حضروا اليوم؟ أي كثيرون حضروا اليوم، لكن كم طالبًا سيستمر؛ هذا استفهام، كم طالبٍ حضروا اليوم؛ هذا كثير، كم طالبًا سيستمر؛ هذا استفهام، ولكن اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون.

أما إذا كان ما بعد كم جملة؛ فالجملة لا نعرف هل المقصود بكم الاستفهام؟ أو المقصود بكم التكثير؟ الذي يحدد ذلك هو السياق.

هنا: (**فَكَمْ ذَا أَنْتَ مَخْدُوعٌ**)؛ هنا استفهام، ليش استفهام؟ من يعرف؟ لأن ذا منصوبة، قلنا: إذا كان منصوب ما بعده فيكون أيش؟ استفهام، فإلى متى؟ كأن المعنى كم يومًا آخر؟ كم شهرًا؟ كم دهرًا تبقى هكذا مخدوعًا؟

(**فَكَمْ ذَا أَنْتَ مَخْدُوعٌ**)؛ والمخدوع بمعنى مغشوش ومغفل، وواقع في الخديعة دون دراية ولا علم، (**فَكَمْ ذَا أَنْتَ مَخْدُوعٌ**)؛ مغشوش ومغفل واقع في غفلة وخديعة دون دراية ولا علم.

(**وَحَتَّى مَتَى لَا تَرْعَوِي عَنْهَا وَحَتَّى؟**)؛ ترعوي فعلٌ خماسي، بمعنى حتى متى لا تكف؟ ما معنى لا ترعوي، لا تكف، حتى متى لا تكف عن هذا الغي؟ وعن هذه الخدعة؟ وعن هذا الانشغال بعرس ذات خدر؟! وعن النوم الغطيط؟! (**وَحَتَّى مَتَى لَا تَرْعَوِي**)؛ وترجع عن غفلتك، وغطيطك، وعدم استغلال الوقت، (**لَا تَرْعَوِي عَنْهَا وَحَتَّى؟**)؛ كرر مرة أخرى للدلالة على أنه مستمر مدة من الزمن.

ثم قال: («**أَبَا بَكرٍ» دَعَوتُكَ لَوْ أَجَبْتَا... إِلَى مَا فِيهِ حَظُّكَ لَوْ عَقَلتَا**)؛ قلنا: إن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ إما أن يخاطب ابنًا له اسمه أبو بكر كان في طلب العلم ثم انشغل بالزواج والنوم وغفل، فأراد أن يستذكره بهذه المنظومة الجميلة بالعلم وفضله حتى..، ولعل أن يتذكر فيرجع، وهذا هو الأقرب عندي.

والمعنى الثاني: قال بعضهم: أنه يُخاطب صاحبًا له كان معه في طلب العلم ثم ترك طلب العلم، وصار يتفاخر بما هو عليه من الدنيا، ويُنزِّل من قدر العلامة الإلبيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإنه عاش فقيرًا، لكنه عاش بالعلم غنيًا.

وقيل: إن هذه مخاطرة متخيلة، لكن كما ذكرت الأول عندي هو الأقرب، فأبو بكر اسم ابنه، يقول: («**أَبَا بَكرٍ» دَعَوتُكَ لَوْ أَجَبْتَا**)؛ وأجبت رباعيٌّ، أجاب هذا هو الفعل، رباعي، أجاب إلى كذا بمعنى أنه سمع كلامي، وقضى حاجتي، وصار إلى جانبي، («**أَبَا بَكرٍ» دَعَوتُكَ لَوْ أَجَبْتَا**)؛ ولو هنا لتمني الخير، وهو أمرٌ جائزٌ لو لتمني الخير وهو أمرٌ جائز سواءً في المستقبل أو في الماضي، ومنه قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سُقت الهدي**»، إذًا لو في تمني الخير أمرٌ مباح.

يقول: (**إِلَى مَا فِيهِ حَظُّكَ لَوْ عَقَلتَا**)؛ هنا قول: (**إِلَى مَا فِيهِ حَظُّكَ**)؛ هنا ضع سؤالًا: لماذا يطلب الإنسان العلم؟ الجواب: يُطلب العلم لأسبابٍ كثيرة ذكر المصنف منها رَحِمَهُ ٱللَّهُ اثني عشر سببًا، لماذا نطلب العلم؟ ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ منها اثني عشر سببًا، لكن قبل أن نذكر ما ذكره المصنف، إذا كان السؤال: لماذا نطلب العلم؟ نقول: نطلب العلم لنرفع الجهل عن أنفسنا، ونرفع الجهل عن أمتنا، فهذه نية العلم.

والسؤال: لماذا نطلب العلم؟ إذا كان عن النية فهذا هو الجواب، نطلب العلم لنرفع الجهل عن أنفسنا، ونرفع الجهل عن غيرنا، فإن العلم عاصمٌ يعصم الإنسان من الزلل، والعلم داعٍ يدعو الإنسان إلى العمل، والعلم يثبت الإنسان على الدين، والعلم أمارة يرشدك إلى ما به نجاتك، المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر: لماذا نطلب العلم؟ اثني عشر سببًا:

الأول: [حط عليه رقم ١] كلمة (**إِمَامًا**) -هذه واحدة- يوصل إلى درجة الإمامة.

(**وَيَجْلُو مَا بِعَيْنِكَ مِنْ غَشَاهَا**)، في البيت الثامن [حط عليه رقم ٢]. إذًا العلم يجلو عن العين الغشاوة.

الثالث: الشطر الثاني من البيت الثامن (**وَيَهْدِيكَ الطَّرِيقَ إِذَا ضَلَلْتَا**)؛ هذا سبب عظيم يخليك تطلب العلم.

الرابع: في البيت التاسع الشطر الأول، (**وَتَحْمِلُ مِنْهُ فِي نَادِيكَ تَاجًا**)؛ يحصل بالعلم التمييز، تاج.

الخامس: (**وَيَكْسُوكَ الجَمَالَ إِذَا عَرِيتَا**).

السادس: الشطر الأول من البيت العاشر. (**يَنَالُكَ نَفعُهُ مَا دُمْتَ حَيًّا**)؛ تعلم إنسان كلمة، تعلم الإنسان مسألة. (**يَنَالُكَ نَفعُهُ مَا دُمْتَ حَيًّا**).

السابع: (**وَيَبْقَى ذِكْرُهُ لَكَ إِنْ ذَهَبْتَا**)؛ كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث**»، وذكر: «**أو علمٍ ينتفع به**».

الثامن: البيت الحادي عشر. (**هُوَ العَضْبُ المُهَنَّدُ لَيْسَ يَنْبُو... تُصِيبُ بِهِ مَقَاتِلَ مَنْ ضَرَبتَا**)، هذا الثامن.

التاسع: الشطر الأول من البيت الثاني عشر: (**وَكَنْزٌ لَا تَخَافُ عَلَيْهِ لِصًّا**).

العاشر: (**خَفِيفَ الحَمْلِ يُوجَدُ حَيْثُ كُنْتَا**).

الحادي عشر: البيت الثالث عشر الشطر الأول منه: (**يَزِيدُ بِكَثرَةِ الإِنْفَاقِ مِنْهُ**).

الثاني عشر: (وَيَنْقُصُ إِنْ بِهِ كَفًّا شَدَدْتَا).

إذًا لماذا نطلب العلم؟ لهذه الأسباب الاثني عشر التي ذكرها المصنف الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيته ضمنًا.

البيت السابع: (**إِلَى عِلْمٍ تَكُونُ بِهِ إِمَامًا**)؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن في أدعية الصالحين، قال: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [سورة الفرقان، من الآية:٧٤]؛ إذًا ينبغي أن يكون من خاصة دعاء طالب العلم: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾؛ قال بعض المفسرين من السلف: كيف تكون إمامًا؟ قال: تقتدي بمن سبقك فيقتدي بك من خلفك، تقتدي بمن سبقك من السلف فيقتدي بك من خلف من الخلف، هكذا تنال الإمامة، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذكر نوعين من أنواع الإمامة في الدنيا وفي الآخرة: إمامة الضلالة، وإمامة الهدى، فقال عن أئمة الضلالة: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [سورة القصص، من الآية:٤١]؛ نسأل الله السلامة والعافية، فهذه إمامة الضلالة.

وإمامة الخير قال الله عَزَّوَجَلَّ في سورة السجدة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [سورة السجدة، من الآية:٢٤]؛ متى؟ ﴿لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [سورة السجدة، من الآية:٢٤]؛ فخذ يا طالب العلم: لن تكون إمامًا في الدين إلا بهذين الشرطين؛ الصبر واليقين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية العلم الإمام الهُمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لن تنال الإمامة في الدين إلا بالصبر واليقين"؛ مصداقًا لهذه الآية.

قال: (**وَيَهْدِيكَ الطَّرِيقَ إِذَا ضَلَلْتَا**)؛ يهديك يرشدك ويدلك ويبين لك، السبيل الطريق والنهج، والشرع والمسلك، ويهديك السبيل إذا ضللتا، إنسان في صحراء لا أول لها ولا آخر، كيف يهتدي ما لم يكن معه علم إلا بالنجوم وإما بالآثار، هل يمكن أن يهتدي؟ أم يموت عطشًا وظمأ، فالإنسان في ميامه الدنيا وفي صحراء الدنيا لا يستطيع أن يهتدي ما لم يكن معه علم، علمٌ بالله، علمٌ عن الله، علمٌ برسول الله، علمٌ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (**وَتَحْمِلُ مِنْهُ فِي نَادِيكَ تَاجًا**)؛ تأمل معي هذا الأمر العظيم! النادي مكان اجتماع القوم في لغة العرب القدامى، ما معنى النادي؟ مو نادي مثل نوادي اليوم أطلقوا على المكان الكرة النادي، لا، النادي عند العرب مكان الاجتماع ومهيأ للجلوس مثل في عرفنا اليوم الديوانيات. (**وَتَحْمِلُ مِنْهُ فِي نَادِيكَ تَاجًا**)؛ وأعظم تاجٍ يلبسه الإنسان ويُلبسه لوالديه أن يحفظ القرآن، وقد صحح الشيخ

الألباني الحديث وغيره من أهل العلم من قبل: **"أن الله جَلَّوَعَلَا يُلبس حافظ القرآن يوم القيامة تاجًا يقال له: تاج الوقار، الياقوتة فيها خيرٌ من الدنيا وما فيها"**، شوفوا فضل الله عند الله عَزَّوَجَلَّ، **"ويُلبس والديه حُلة الكرامة"**؛ إكرامًا له لأنه حفظا أبناؤهما وبناتهما القرآن.

قال: (**وَيَكْسُوكَ الجَمَالَ إِذَا عَرِيتَا**)؛ يكسوك أي يلبسك، ويحليك الجمال، والجمال جمال العلم، ولهذا لما تقرأ في تراجم بعض العلماء تجد أنهم لم يكن فيهم جمالٌ صوريٌّ، لكن علمهم جعل أهل الجمال وأهل الكمال من الدنيا ينزلون عندهم، ويستدلون بين أيديهم، ومنهم إمام زمانه طاووس بن كيسان، فإنه كان ذميم الخلقة، أطفس، أعشى، أعرج، فيه عيوب كثيرة، لكن عبد الملك بن مروان خليفة المسلمين كتب إلى واليه بمكة: أن سر حيث يأمرك طاووس بن كيسان، العلم -أيها الإخوة-، تقرأ فلان الأعرج، فلان الأعمش وهكذا، لكن هذا بعيب، العلم جمالٌ في نفسه، كما قال الأول:

العِلــمُ يَبنــي بُيوتــًا لا عِمــادَ لَهــا والجَهــلُ يَهــدِمُ بَيــتَ العِــزِّ والشــرفِ

(**وَيَكْسُوكَ الجَمَالَ إِذَا عَرِيتَا**)؛ عريتا عري كذا إذا خلا منه، عري من كذا إذا خلي منه، وفلانٌ عري الثوب أي عريانٌ فلان عري الثوب أي عريانٌ، وسوءته ظاهرة، وهذا فيه كناية أن من لم يكن عالمًا فسوآته ستظهر إن عاجلًا أو آجلًا، من لم يكن عالمًا سوآته تظهر إن عاجلًا أو آجلًا.

قال: (**يَنَالُكَ نَفعُهُ مَا دُمْتَ حَيًّا**)؛ نفع العلم في الحياة ظاهر، فإن الإنسان يعرف كيف يعبد ربه؟ كيف يصلي؟ كيف يصوم؟ كيف يحج؟ (**وَيَبْقَى ذِكْرُهُ لَكَ إِنْ ذَهَبْتَا**)؛ كما ذكرنا في الحديث.

ثم قال: (**هُوَ العَضْبُ المُهَنَّدُ لَيْسَ يَنْبُو**)؛ ليس ينبو أي بمعنى أنه لا ينثني، بل يقطع، العضب المهند السيف المهند الحاد، العلم سيف يتكلم الجاهلون ثم تقول لهم أنت: قال الله تعالى، قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، انتهى خلاص، كلهم يسكتون.

(**هُوَ العَضْبُ المُهَنَّدُ**)؛ والمهند نسبة إلى الهند السيوف التي كانت تصنع هناك لقوتها، (**لَيْسَ يَنْبُو**)؛ أي: ليس ينثني طرفها المسنن، (**تُصِيبُ بِهِ مَقَاتِلَ مَنْ ضَرَبتَا**).

لذلك العلم -أيها الإخوة- نورٌ في الظلمة يُستضاء به، والعلم حقٌّ في الباطل يُستنار به، والعلم -أيها الإخوة- حقٌّ يلجأ إليه من الباطل، والعلم قاطعٌ للجهل يضرب به من يعرف كيف يستخدمه، قال: (**وَكَنْزٌ لَا تَخَافُ عَلَيْهِ لِصًّا**)؛ وهذا مروي عن علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وهي مذكورة في المقارنة بين المال وبين العلم، المال أنت تحرسه، وأنت تفكر في كيفية زيادته، وتعرف أنك إذا أنفقت ينقص، هكذا أهل الدنيا يحسبون للدنيا حسابًا، العلم أنت لا تحرسه، هو يحرسك يمنعك من الشر ومن السوء، ومن الغل والحقد والحسد، أنت لا تخشى عليه لا أحد يستطيع سرقته؛ لأنه بين جنبيك، ولذلك قال العلماء: "العلم ما حواه الصدر لا ما حواه السطر"، ولهذا قال الرحبي في منظومته: (فاحفظ فكل حافظٍ أمامه).

العلم كل ما أنفقت منه كلما زاد عندك ولا ينقص، هذه فضائل لا تكاد توجد في غيره، قال: (**يَزِيدُ بِكَثرَةِ الإِنْفَاقِ مِنْهُ... وَيَنْقُصُ إِنْ بِهِ كَفًّا شَدَدْتَا**)؛ إذا كان الأمر كذلك، فكيف نُحصل العلم كيف نناله؟ ذكر المصنف ذلك من البيت الرابع عشر إلى البيت الثامن عشر، كيف ننال العلم؟

نكتفي بهذا القدر، سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.